

الوافي في الوفيات

من أين للعود هذا الصوت تطربنا ... ألعنه بأطاريق الأناسيد .
أظنّ حين نشأ في الدّوح علّمه ... سجع الحمايم ترجيع الأغاريد .
ومنه في الحمّام التي عمّرها أسندمر بطرابلس : .
زر منزل الأفراح واللذات ... دار النّعيم ومرتع اللذات .
دار النعيم وفي الجحيم أساسها ... تجري بها الأنهار في الجنات .
فلكّ ومن بيض القباب بروجّه ... ونجومه من زاهر الجامات .
مغنّى له يمازج ماؤه ... للنار فهو مؤلف الأشتات .
كالخلد مرتفع البناء فضاؤه ... رجبّ يسافر فيه باللحظات .
يحكى بخور العود طيب بخارها ... والمسك والكافور ممتزجات .
وتضيق في غسق الدجى أكنافها ... كإضاءة المصباح في المشكاة .
فرشت بألوان الفصوص ورصّعت ... بجواهرٍ من فاخر الآلات .
بركّ كأفواه الملاح رضاها ... عذب شهيّ الرشف في الحلوات .
ومنايع قد فجّرت بحدائقٍ ... ترخيمها يغني عن الزهرات .
وجرت أنابيب الحياض بفضّةٍ ... محلولةٍ تنصبّ في مرآة .
تلقى الربيع من اعتدال هوائها ... ومياهها في سائر الأوقات .
ويشمّ منها من يمرّ ببابها ... ريّاً نسيم الرّوض في الغدوات .
حمّامنا يشفي السّقام وماؤه ... عين الحياة تزيل كلّ الأبيات .
وبرسم مولانا الأمير وأمره ... بنيت على اسم الله والبركات .
المالك المخدم سيف الدين والد ... نيا أسندمر الكريم الذّات .
قد ساد بانيها فساد بناءها ... بأوامرٍ سيفيّة العزمات .
في دولة الملك الرحيم محمدٍ ... الناصر المنصور في الغزوات .
تمّت لخمسٍ قد مضت من هجرة ال ... مختار مع سبعٍ كملن مئات .
ومن شعر شمس الدين الطيّبي : .
لست أنسى الأحباب ما دمت حياً ... إذ نووا للذّوى مكاناً قصيلاً .
وتلوا آية الدموع فخرّوا ... خيفة البين سجداً وبكياً .
فبذكراهم يسبّح دمعى ... كلّما اشتقت بكرةً وعيشاً .
وأناجي الإله من فرط حزني ... كمناجاة عبده زكريا .

واختفى نورهم فناديت ربّي ... في ظلام الدجى نداءً خفيّاً .
وهن العظم بالعباد فهب لي ... ربّ بالقرب من لدنك وليّاً .
واستجب في الهوى دعائي فإنّي ... لم أكن بالدعاء ربّ شقياً .
قد فرى قلبي الفراق وحقاً ... كان يوم الفراق شيئاً فريّاً .
ليتني مت قبل هذا وأنّي ... كنت نسياً يوم النوى منسياً .
لم يك الهجر باختياري ولكن ... كان أمراً مقدّراً مقضياً .
يا خليليّ خلّاني وعشقي ... أنا أولى بنار وجدي صليّاً .
إن لي في الفراق دمعاً مطيعاً ... وفؤاداً صيّاً وصبراً عصياً .
أنا في هجرهم وصلت سهادي ... فصلاني أو اهجراني مليّاً .
أنا في عاذلي وحيي وقلبي ... حائر أيّهم أشدّ عتيّاً .
أنا شيخ الغرام من يتّبعني ... أهده في الهوى صراطاً سويّاً .
أنا ميت الهوى ويوم أراهم ... ذلك اليوم يوم أبعث حيّاً .
أنا لو لم أعيش بمقدم مولى ... هو مولى الوجود لم أك شيئاً .
الفتى الباسط الجميل جمال الد ... ين من زار من نداه النديّاً .
سيد مرتضى الخلائق أضى ... راضياً عند ربّه مرضيّاً .
صادق الوعد بالوفاء ضمّن ... كالذي كان وعده مأتيّاً .
أوجد في الصّفات لم يجعل اللّ ... ه له قطّ في السمو سميّاً .
لا ترى في الصّدور أرحب صدراً ... منه إذ يحضر الصدور جثيّاً